مارتن لوثر كينغ

أقوالٌ، مواعظُ، ذكرياتٌ، خطابٌ

جمعها وترجمها
أديب مصلح

٢٠٢٢

"إنّ الذين يحولون دون قيام ثورةٍ سلميّةٍ،

يُحتّمون قيام ثورةٍ عنيفةٍ.

جون كينيدي

"تخيّلوا، لحظةً واحدةً، أن يكون الله أسود.

فما يكون جوابنا عند وصولنا إلى العلاء، بعد أن نكون قد

عاملنا السود، طوال حياتنا، وكأنّهم كائناتٌ دنيا؟"

روبيرت كينيدي

أقـــوالٌ

إيمانٌ ودينٌ

- عالمنا حافلٌ بالإحباط، لأنّنا اعتمدنا على الآلهة الزائفة، عوضًا عن اعتمادنا على الله الحقّ. فقد سجَدنا أمام إله العلم قبل اكتشافنا أنّ العلم أعطانا القنبلة الذرّيّة التي ولّدت مخاوفَ وهواجس لا قِبَل للعلم على تهدئتها. وعَبَدْنا إلهَ المتعة فاكتشفنا أنّ الرعشة والمتعة سريعتا العبور. وانحنَينا أمام إلهِ المال قبل أن نُدرك أنّ المال لا يستطيع شراء الحبّ والصداقة، وقبل أن نتبيّن أنّ إلهَ المال غير جديرٍ بالثقة.

هذه الآلهة الزائفة عاجزةٌ عن تأمين خلاصنا، وعن توفير السعادة للقلب البشريّ. فالله وحدَه قادرٌ على تحقيق ذلك، وفي الإيمان وحدَه يجب أن نكتشفه.

- العلم يبحث والدين يفسّر. العلم يزوّد الإنسانَ بالمعرفة، والمعرفة قدرةٌ، والدين يزوّد بالحكمة، والحكمة رقابةٌ. العالم

يهتمّ، مبدئيًّا، بالوقائع، والدين يهتمّ أساسيًّا بالقِيَم. وهما ليسا متنافسَيْن بل متكاملان. فالعلم يحول دون الغرق في لجّة اللامعقول الجامح، والظلاميّة التي تُحدِث الشلَل. والدين يحول دون الغَرَق في مستنقع العدميّة، والأخلاقيّات البالية.

- ابحثوا عن الله تجدوه، واجعلوا منه قوّة حياتكم. بمنأًى عنه تتحوّل كلّ جهودنا رمادًا، وتضحي إشراقات فجرنا ليالي قاتمة. وبمنأًى عنه تمسي الحياة تمثيليّةً عديمة المعنى، مفتقرةً إلى المشاهد الحاسمة. ولكن مع الله نقوى على الانعتاق من تعب القنوط، ونتذوّق فرح الأمل. معه نعبُر من منتصف ليل اليأس، إلى ظهر البهجة. لقد أصاب القدّيس أوغسطينُس كبدَ الحقيقة عندما قال: "خَلَقتنا الله من أجله، ولن نصيب راحةً حتّى نستريحَ فيه".

- بعض الأمور تذكّرنا بأنّ عظمات الكون هي التي لا نشاهدها أبدًا. فإذا خرجتَ ليلًا وتطلّعتَ إلى النجوم التي تتلألأ في السماء مثل مصابيح الأبديّة، وخُيِّل إليك أنّك ترى كلّ شيءٍ، فأنا أقول لك إنّك لا ترى، أبدًا، نظام الجاذبيّة الذي يبقيها في العُلى.

- **على الدين الوفيّ لذاته أن يهتمّ في أحوال البشر الاجتماعيّة. عليه أن يُعنى، في الآن عينه، بالأرض والسماء، بالزمن والأبديّة، غير مكتفٍ بالخطّ العموديّ، مغفلًا الخطّ الأُفقيّ. فهو، من جانبٍ، يسعى إلى تغيير نفس البشر وربطها بالله، ومن جانبٍ آخر، يسعى إلى تغيير ظروف حياة البشر، كي يفسح لنفسهم فرصةً.**

إنّ كلّ دينٍ يدّعي الاهتمام بنفس البشر، ويتغاضى عن أكواخ الصفيح حيث البشر يتعفّنون، وعن الظروف الاقتصاديّة التي تخنقهم، والظروف الاجتماعيّة التي تشلّهم هو دينٌ جافٌّ كالتراب، وهو الدين الذي يصفه الماركسيّون بأفيون الشعوب.

- **ينبغي أن نجهد باندفاعٍ وحميّةٍ، وبلا هوادةٍ، كي نربط شواطئ التقدّم العلميّ بشواطئ التقدّم الأخلاقيّ. فإنّ إحدى المشاكل البشريّة التي نعانيها هي افتقارنا الروحيّ الذي يقابل إثراءنا التقنيّ والعلميّ. فبقدر ما اغتنينا ماديًّا، افتقرنا أخلاقيًّا وروحيًّا.**

يحيا البشر على صعيدَيْن: داخليٍّ وخارجيٍّ، الداخليّ وهو الروحيّ ويُعبَّر عنه من خلال الفنّ والأدب والأخلاق والدين: أمّا الخارجيّ فهو مجمّع الأجهزة، والتقنيات، والآليّات التي بها نعيش. ومعضلتنا، اليوم، هي جعلنا الداخليّ يتيه في الخارجيّ، وإحلالنا الوسائل التي نستعين بها على العيش محلّ الغاية التي نحيا من أجلها.

- **الدين هو الذي يُضفي على الحياة وعلى الكون معنًى. ومن أعماق الدين تتفجّر الدوافع الأشدّ فاعليّةً على سلوك حياةٍ فُضلى. الدين وحدَه يؤكّد لنا أنّ كلّ ما هو رفيعٌ، ونبيلٌ، وصالحٌ، سيبقى. في نظري هذا هو فضل الدين الأعظم.**

- **الطبيعة هي لغة الله.**

- **عيد الميلاد والفصح لا ينفصلان. فيسوع جاء كي يرشدنا إلى الطريق. ولكنّ البشر فضّلوا الظلمة على النور، فصلبوه.**

يوم الجمعة العظيم كان يوم الظلمة، ولكن عقبه أحد الفصح. والفصح يذكّرنا بأنّ الأرض، حيث الحقيقة مسحوقةٌ

ستنهض من جديدٍ. الفصح يؤيّد قول الكاتب البريطانيّ، "كارتِلّ": "ليس لكذبةٍ بقاءٌ".

هذا هو إيماننا، طالما بقينا راجين السلام على الأرض، وصدق النوايا بين البشر.

- إنّ التعليم الذي ينكر اهتمام الإنجيل بالجسد مثل اهتمامه بالنفس هو تعليمٌ غير متوازٍ، وكفيلٌ بإحداث انفصامٍ مأساويٍّ بين القدسيّ والدنيويّ. ولكي تكون الكنيسة وفيّةً للعهد الجديد، عليها تطوير حياة الأفراد والأحوال الاجتماعيّة التي تغرق البشر في قلق الفكر وفي عبوديّةٍ قاسيةٍ.

إنّ توقُّعَ أن يحقّق الله وحدَه، حتمًا، كلّ شيءٍ هو تشويهٌ للصلاة. فالله الذي يفعل، وحدَه، كلّ شيءٍ، إنّما هو "خادمٌ كونيٌّ" يُستدعى لأتفه الدوافع. وحينئذٍ، يحلّ الدعاء محلّ العمل وإعمال الفكر.

من المؤكّد أنّ علينا طلب عون الله وهدايته في كفاحنا. ولكنّنا سنرتكب خطأً جسيمًا إذا ظننّا أنّنا سنكسب المعركة

بالصلاة فحسبُ. فالله الذي وهَبَنا عقولًا تفكّر، وأجسادًا تعمل، يخالف مخطّطاته إذا أتاح لنا أن نحصل بالصلاة، على ما يتعيّن علينا تحصيله بالكدّ والفكر...

يجب أن نصلّي من أجل السلام، ولكن يجب ، أيضًا، أن نعمل بعزيمةٍ صلبةٍ من أجل وقف التسلّح، وإيقاف التجارب النوويّة.

- على المسيحيّ ألاّ يُخضِعَ، أبدًا، وفاءَه المطلق لأيّ تقليدٍ يفرضه الزمن، أو لأيّ رأيٍ مرتبطٍ بهذه الدنيا. ففي صميم وجودنا، يوجد واقعٌ أسمى، يوجد الله وملكوتُه، ولهما يجب أن نمتثل.

إذا رفضنا التألّمَ من أجل العدل، وآثرنا انتهاجَ درب الرفاه، فنسمع قول يسوع: "طوبى للمضطَهَدين من أجل البرّ فإنّ لهم ملكوت السماوات".

وإذا دفَعَتْنا كبرياؤنا إلى الافتخار ببلوغنا قمَمًا روحيّةً، فسنسمع تحذير يسوع: "العشّارون والبغايا سيسبقونكم إلى ملكوت السماوات".

وإذا أغفلنا حاجات المحرومين بدافع الأنانيّة الصلِفة، فسيقول لنا المعلّم: "إنّ ما صنعتموه لأحد هؤلاء الصغار الذين هم إخوتي، فلي صنعتموه".

وإذا سمحنا لشرارة ثأرٍ أن تُشعِل في قلوبنا بُغضًا لخصومنا، فيسوع يعلّمنا: "أحبّوا أعداءَكم، باركوا لاعنيكم، وأحسنوا إلى مُبغضيكم، وصلّوا للمسيئين إليكم، ولمضطهِديكم".

في كلّ زمنٍ، وفي كلّ مكانٍ تعليم محبّة يسوع هو نورٌ مشعٌّ، يفضح بشاعة تأقلمنا الرخو مع التقاليد الشائعة.

- لا الله، ولا الإنسان، منفردَيْن، يخلّصان العالم. ولكنّهما، معًا، وعندما تجمعهما محبّةٌ فيّاضةٌ، هي هبة الله ذاته المجّانيّة، وهي طاعة الإنسان وتقبّله الكاملان، حينئذٍ، الله والإنسان يستطيعان تغيير القديم إلى جديدٍ، واجتثاث سرطان الخطيئة القاتل.

الإيمان هو الذي يمكّن الله من العمل بواسطة الإنسان... الإيمان هو انفتاح الإنسان، من جميع الجوانب، والمستويات، على الفيض الإلهيّ.

ما زال حلمنا القديم والنبيل بعالم سلامٍ مهيّأً لكي يصبح واقعًا، عندما يفتح البشر ذواتهم لله، لكي يملأها محبّةً، واحترامًا متبادلًا، وتفاهمًا، ونوايا سليمةً.

ولن يتحقّق الخلاص الاجتماعيّ، إلاّ عندما يتقبّل البشر طوعًا عطيّة الله.

المحبّة

- **عندما أتكلّم على المحبّة لستُ أعني استجابةً عاطفيّةً، ضعيفةً، بل أعني القوّة التي اعترفت جميع الأديان بأنّها مبدأ الحياة الأسمى. المحبّة، هي، نحوًا ما، مفتاح أبواب الحقيقة القصوى.**
- **المحبّة هي القدرة الأكثر ثباتًا في العالم. هي القدرة الخلاّقة التي مثّلتها، أروعَ تمثيلٍ، سيرة يسوع المسيح. هي الأداة الأوفر قدرةً، التي يمتلكها الجنس البشريّ في سعيه إلى الأمان والسلام.**
- **السلطة بمعزلٍ عن المحبّة شراسةٌ وتعسُّفٌ. والمحبّة بلا سلطةٍ عاطفةٌ، وهشاشةٌ، ووهنٌ. خير ما في السلطة محبّةٌ تنفّذ مقتضيات العدل، وخير ما في العدل هو السلطة التي تزيل ما يُعيق المحبّة.**
- **المحبّة هي القوّة الوحيدة القادرة على تحويل العدوّ إلى صديقٍ.**
- **الإيثار الحقيقيّ لا يقتصر على رثاء حال الآخر، بل هو فهمه.**

- **الرأفة لا تتخطّى كونها اهتمامًا سطحيًّا، يدفع إلى إعطاء شيك، في حين أنّ الفهم الحقّ هو اهتمامٌ شخصيٌّ، يتطلّب بذل الذات.**
- **خير ما ينفع الإنسان قلبٌ مفعمٌ نعمةً، ونفسٌ قوامها المحبّة.**
- **لا نكتفينَّ بالعواطف، فالمحبّة إرادةٌ خلّاقةٌ، متفهّمةٌ، تشمل جميع البشر. وهي رفض قهر أيّ إنسانٍ.**
- **لا الحقد ولا المرارة يشفيان من الخوف. بل المحبّة وحدَها تشفي منه. فالحقد يشلّ الحياة، والمحبّة تحرّرها. الحقد يشوّش الحياة، والمحبّة تشيع فيها التناغم. الحقد يملأها ظلامًا، والمحبّة تنيرها.**
- **صعبةٌ هي محبّة بعض الأشخاص، إذ إنّ المحبّة تندرج في نطاق العواطف. ومن ثمّ تصعب محبّة مَن يُدمِّر منزلَك بالقنابل، ومن يهدّد أبناءَك. ومن الصعب محبّة أعضاء الكونغرس الذين يقضون وقتَهم في محاولة إفشال القوانين التي تدعم الحقوق المدنيّة.**

ومع ذلك دعانا يسوع إلى محبّتهم، فالمحبّة هي أكبر من كلّ ذلك.

الصفح والسلام

- **ينبغي تنمية القدرة على الصفح وصيانتها، فمن افتقر إليها افتقر إلى القدرة على المحبّة.**

- **ليس الصفح فعلًا طارئًا، بل هو موقفٌ ثابتٌ دائمٌ.**

- **الماضي نبويٌّ. فهو يُظهر لنا، جليًّا، أنّ الحروب هي أسوأ الأدوات من أجل صنع السلام. ولا بدّ لنا من الاعتراف، ذات يومٍ، بأنّ السلام ليس مجرّد هدفٍ بعيدٍ نسعى إليه، بل هو وسيلةٌ لبلوغ هدفنا. فعلينا السعي إلى أهدافٍ سلاميّةٍ، بوسائل سلاميّةٍ، حتّى متى علينا أن نظلّ نلعب لعبة الحرب القاتلة قبل أن نسمع أنّات أمواتٍ لا يُحصى لهم عددٌ، وأنّات من شوّهتهم حروب الماضي.**

- **شرط الحياة على الأرض بسلامٍ، وبنيّةٍ سليمةٍ، هو الاعتراف بقدسيّة كلّ حياةٍ بشريّةٍ. فلكلّ إنسانٍ شأنٌ لأنّه ابن الله.**

- **لا يسوغ للكنيسة أن تبقى صامتةً، في حين يتعرّض البشر لخطر الدمار النوويّ. إنّ وفاء الكنيسة لرسالتها يفرض عليها الدعوة إلى إنهاء سباق التسلّح.**

- **إنّ أحد وجوه الالتباس الأشدّ عنادًا يكمن في أنّ الجميع يتحدّثون عن السلام، ولكأنّ الهدف هو الحديث. وليس من الصعب تبيّن أنّه، فيما يكثر الحديث عن السلام، لا يعير القابضون على زمام الحكم، اهتمامًا حقيقيًّا بالسلام. وكثيرون يطلقون دعواتٍ إلى السلام، ويُحجِمون عن أيّة مبادرةٍ تُفضي إلى السلام.**

قوى عالمنا الكبرى تتحدّث بحماسٍ عن السلام، في حين هي دائبةٌ على تضخيم ميزانيّات التسلّح، وزيادة حجم عدّتها العسكريّة، بإنتاجها أسلحةً أشدّ قدرةً تدميريّةً.

استحضروا منشدي بشرى السلام، فيفاجئكم ما تسمعون من ردودٍ. فجميع قادة الدول الذين يبوّقون داعين إلى السلام يجيئون مصحوبين بكتيبةٍ من المنشدين، شاهرين سيوفًا، سُلّت، حديثًا، من أغمدتها، بَدَلَ أغصانِ زيتونٍ.

- لستُ أقلّلُ من شأن استفحال المشاكل التي تتعيّن مواجهتُها من أجل الوصول إلى السلام، ونزع الأسلحة. غير أنّي مقتنعٌ بأنّنا لا نملك لا الإرادة ولا الجرأة، ولا الفطنة الضروريّة، بشأن هذا الاستفحال ما لم نتأهّب لإعادة فحصٍ عقليٍّ وروحيٍّ في هذا المجال، ولتغيير محورنا، بحيث نتبيّن أنّ الأمور التي كانت تبدو لنا واقعيّةً ومتينةً، قد أمست غير واقعيّةٍ، ومحتضرةً.

لا يكفي القول: "لا نريد الحرب". فنفيُ الحروب يقتضي محبّةَ السلام، محبّةً شديدةً، والتضحية. وينبغي ألّا نركّز على الحرب فحسب، بل يجب أن نؤكّد تأكيدًا فاعلًا على السلام.

يجب أن نعي أنّ السلام يمثّل موسيقى رقيقةً، وأُنشودةً كونيّةً، أعذب، بلا قياسٍ، من أنغام الحرب الناشزة. ينبغي تغيير ديناميّة الصراع العالميّ من خلال تحويل سباق التسلّح، والاقتناع بأنّ لا أحد يستطيع النجاح بالسلاح، إلى سباقٍ خلّاقٍ يستهدف السيطرة على العبقريّة البشريّة،

بحيث يصبح السلام والازدهار هما حقيقة جميع دول العالم وهدفها. وبالإجمال، ينبغي تحويل سباق التسلّح إلى "سباقٍ" نحو السلام. وبالعزيمة المصمّمة على إطلاق هذه الحملة نحو السلام، يمكننا أن نفتح بضعة أبواب رجاءٍ، ما زالت موصدةً حتّى الآن، ويمكننا تسريب نورٍ جديدٍ، إلى غرف التشاؤم القاتمة.

- **لن يسود السلام في العالم ما لم يعترف الجميع بضرورة توافق الهدف مع الوسائل، وباستحالة بلوغ هدفٍ نبيلٍ بوسائل فاسدةٍ.**

- **أومن أنّ الكلمة الأخيرة ستكون للحقيقة العزلاء، وللمحبّة غير المشروطة. وأومن أنّ الخير المقهور، مؤقّتًا، هو أقوى من الشرّ المنتصر. وأومن بأنّ العدالة المنهَكَة، والمرميّة أرضًا، مضرّجةً بدماء الأُمم، ستستطيع النهوض من هذه الأرض البغيض، وفرض سيادتها، بلا منازعٍ، بين أبناء البشر.**

وما زلتُ أومن بيومٍ ستخرّ فيه البشريّة أمام هياكل الله،

وستكلَّل بالنصر على الحرب، والدم المسفوك، وأنّ إرادة الفداء، ستُعلِن قانونَها على هذه الأرض.

- **إذا اعترفنا بأنّ الحياة تستأهل أن تُحيا، وأنّ للإنسان الحقّ في البقاء، فعلينا، حينئذٍ، العثور على بديلٍ للحرب. ففي حقبةٍ تُرسَل فيها مراكب فضائيةٌ إلى الجوّ، وترسُم صواريخ باليستيّةٌ عابرةٌ للقارّات أقواسَ موتٍ في طبقات غلاف الجوّ العليا، لا يسع أيّة أُمّةٍ توقّع انتصارها في الحرب.**

- **إذا ابتغينا أن يسود السلام والإرادة الحسنة على الأرض، فلا بدّ من إيماننا بأخلاقيّة الكون، وبأنّ كلّ واقعٍ يقوم على أسُسٍ أخلاقيّةٍ.**

اللاعنف

- لقد اعتزمتُ شنّ معركةٍ دفاعًا عن فلسفتي، إذ لا بدّ من الإيمان في الحياة، بحرارةٍ، تدفعنا إلى الذود عن آرائنا حتّى آخر أيّامنا.

لا أستطيع الاعتقاد بأنّ الله يرغب في أن يراني حاقدًا. لقد سئمتُ العنف، ولن أرضى بأن يُملي عليّ قامعي سلوكي.

نحن نملك قدرةً لا توجد في كوكتيل مولوتوف، ولا في البنادق والرصاص. ومع ذلك نملك قدرةً قديمةً قِدَمَ يسوع الناصريّ، وحديثةً حداثةَ تقنيات المهاتما غاندي.

يسوع ابتدع روح اللاعنف، وغاندي هدى إلى طريقة ممارسته. ولا بدّ من مرجعيّة غاندي لكلّ ساعٍ إلى تقدّم البشريّة. فهو قد عاش، وفكّر، وعمل، يحدوه إلهامُ رؤيةٍ للبشريّة تحيا في سلامٍ وتناغمٍ. وإذا أغفلنا هذا الواقع، فتبًّا لنا.

- إنّي مقتنعٌ بأنّنا إذا وقعنا في فخّ اللجوء إلى العنف للكفاح

من أجل الحرّيّة، فأجيالنا القادمة سترث ليلًا طويلًا من المرارة، وعهدًا متماديًا من الفوضى.

- **لقد شهدتُ قدرًا جمًّا من الحقد يمنعني من انتهاج درب الحقد... وكلّما شهدتُ مظهر حقدٍ، تأكّدت أنّه عبءٌ لا يُحتَمل.**

- **علينا أن ننتصبَ أمام خصومنا ونصارحَهم: "سنروز قدرتَكم على إيجاعنا، مقابل قدرتِنا على الاحتمال! سنواجه قوّتَكم البدنيّة بقوّتنا الروحيّة! ومهما أسأتم إلينا، سنظلّ نحبّكم! لن نرضخ لقوّتكم الغاشمة. ولن نخضع، ضميريًّا، لنظامكم الظالم. فاللاتعاون مع الشرّ هو واجبٌ أخلاقيٌّ، مثلما هو واجبٌ التعاون مع الخير. وبالتالي يمكنكم زجّنا في السجن، ومع ذلك، سنحبّكم. ألقوا القنابل على بيوتنا، وهدّدوا أطفالَنا، ومع قسوة هذا الاعتداء، سنحبّكم! أرسلوا وحوشَكم المقنّعين إلى أحيائنا، ليلًا، وأوسعونا ضربًا، وارمونا نصف أمواتٍ على الأرصفة، ومع ذلك، سنحبّكم! انشروا عملاء دعاواتكم، في طول البلاد وعرضها، وليوهموا الناس بأنّنا**

غير مؤهّلين للاندماج بالمجتمع، ثقافيًّا، أو لأيّ سببٍ آخر، ومع ذلك، سنحبّكم! وتأكّدوا أنّ قدرتَنا على تحمّل الألم ستقهركم، وأنّنا سنظفر بحرّيّتنا، ذات يومٍ، ولن نكسب حرّيّتنا من أجل ذاتنا فقط، بل سنكون قد خضضنا قلبكم وضميركم، وبذلك سيكون كسبُنا مزدوجًا.

- حتّى إذا هُزمتَ لأنّك لم تدافع عن نفسك، فألمُك يفتدي المعتدي، وينظّفك من بغضك له.

- العنف المستخدَم وسيلةً لبلوغ العدالة الاجتماعيّة هو لاواقعيٌّ بقدر ما هو لا أخلاقيّ. إنّه لاواقعيٌّ لأنّه دوّامة انحدارٍ تدمّر الجميع، ولأنّ شريعة "العين بالعين" القديمة كفيلةٌ بتعميم العمى. والعنف لاأخلاقيٌّ لأنّه يرمي إلى إذلال الخصم عوضًا عن التفاهم معه، ولأنّه يتغذّى بالحقد عوضًا عن تغذّيه بالمحبّة، ولأنّه يدمّر المجتمع، ويجعل التآخي والحوار متعذّرَيْن... وفي نهاية المطاف يدمّر العنف ذاته، مولّدًا المرارة لدى الناجين من الفناء، والوحشيّة لدى الضحايا.

- **اللاعنف نهج حياةٍ يختارُه بشرٌ بسبب أخلاقيّة قِيَمه الأصيلة. ومن يلجأ إليه، غالبًا ما يتبنّاه أسلوبَ عيشٍ شاملٍ.**

- **ثمّة مرحلةٌ جديدةٌ في النضال تقوم على عصيانٍ جماعيٍّ قادرٍ على تحويل غضب العيش المهين في الأكواخ، إلى قوّةٍ بنّاءةٍ، تستعصي على التدمير. فعرقلة عمل مدينةٍ، بمعزلٍ عن تدمير أيّ شيءٍ فيها، قد يكون أجدى من أعمال شغبٍ مدمّرةٍ. فالعصيان قادرٌ على الاستمرار وقتًا أطول، وهو أكثر كلفةً للسلطات. وهو أداة عملٍ اجتماعيٍّ، يصعب على الحكم قمعه بيُسرٍ.**

- **حافزٌ قويٌّ يولَد عندما تؤلّف أُمّةٌ، اعتادت الصمت، جيشًا ينطلق حاملًا راية اللاعنف. فجيشٌ ينفي العنف يتّسم بروعةٍ عالميّةٍ. وفي حين أنّ جيشًا يمارس العنف، يستلزم أعضاءً بلغوا سنّ النضج، كان بعض أفضل مشاة جيشنا في "بيرمينغهام" شبّانًا ما زالوا طلاّب مدارس، ومعاهد، وجامعاتٍ.**

- **التعاطف واللاعنف يساعداننا على فهم وجهة نظر الخصم، وعلى الإصغاء إلى أسئلته، وعلى معرفة رأيه**

فينا. وبفضل وجهة نظره نستطيع تبيّن مواطن ضعفنا الأساسيّة، فننتهج سلوكًا أكثر نضجًا، ونكبُر، مستفيدين من حكمة إخوةٍ نعدّهم خصومًا.

- **لا حاجة إلى علمٍ وفيرٍ، وإلى فكرٍ أكّاديميٍّ من أجل البحث، بعنادٍ، عن الحقيقة، وعن الجمال الكامن في الحياة البشريّة الذي تشوّهه باستمرار صيحات ثأر البشر.**

- **الإيمان باللاعنف لا يحمي من العنف. فالمؤمن باللاعنف يرتضي أن يكون ضحيّة العنف، ولكنّه لا يمارسه، أبدًا، ويحيا مقتنعًا بقدرة الألم على افتداء الأمراض الاجتماعيّة.**

- **عندما يباغتك إنسانٌ أهنتَه طوال سنواتٍ، وهدّدته بعقابٍ ظالمٍ وقاسٍ، ويُحدّق إليك، ويقول لك، بهدوءٍ: "عاقبني، لا لأنّي أستحقّ العقاب، ولكن لأنّني بريءٌ. إنّي أقبل العقاب، لكي يعلم العالم أنّي محقٌّ، وأنّك مخطئٌ".**

عندما يخاطبك إنسانٌ على هذا النحو، تحار في ما تفعل، وترتبك، وتخجل، سرًّا، لأنّك تعلم أنّ لهذا الإنسان

قيمةً مثلما لك. لقد اهتدى إلى نبعٍ سرّيٍّ، ونهل منه الجرأة، والعزم على مقاومة القوّة البهيميّة، بقوّة النفس.

وسرعان ما لا يعود السجن للإنسان الأسود مبعثَ خزيٍ وعارٍ، بل يغدو وسامَ شرفٍ. فمن خلال ثورة السود، لم يتصدَّ هؤلاء لأسباب بؤسهم الخارجيّة، بل بيّنت لهم ثورتهم حقيقة ذواتهم، ومعنى شخصيّاتهم، وضرورة تحرّرهم في الحال.

(من خطابه الأخير قبل اغتياله)

- **نجدُنا مُكرَهين على الإمساك بزمام القضايا الشائكة التي طالما حاول آخرون الإمساك بها، تاريخيًّا، حين لم تكن حاجةٌ ملحّةٌ تجبرهم على ذلك. ولكنّ هذا الأمر، اليوم، هو أمر حياةٍ أو موتٍ.**

- **ما انفكّ العالم، منذ سنواتٍ عديدةٍ، يتكلّم عن الحرب والسلم، أمّا اليوم، فلم يعد جائزًا الاكتفاء بالتكلّم. ولم يعد الخيار بين العنف أو اللاعنف. بل الخيار، اليوم، هو بين اللاعنف واللاوجود.**

تلك هي حالنا اليوم. وهي حال الثورة المطالبة بالحقوق الإنسانيّة. فإن لم تؤخذ مبادراتٌ عاجلةٌ، في العالم أجمع، من أجل إخراج الشعوب الملوّنة من حقبة الفقر الطويلة، التي أُهينوا فيها، وإذا استمرّ إهمالهم، فالعالم أجمع، ذاهبٌ إلى الهلاك.

المجتمع

- **حياة الفرد تبدأ عندما يستطيع تخطّي نطاق همومه الشخصيّة الضيّق إلى نطاق هموم البشريّة جمعاء، الأوسع.**
- **على كلّ إنسانٍ أن يختار السير: في نور إيثارٍ خلّاقٍ، أو في عتمة أنانيّةٍ مدمّرةٍ.**
- **تجاهل الشرّ هو تواطؤٌ معه.**
- **من كبريات مآسي التاريخ أنّ "أبناء العتمة" هم أشدّ اندفاعًا وتصميمًا من "أبناء النور".**
- **وسائل إنتاج هائلةٌ يقودها حاسوبٌ، تملأ المدن، وتخترق السحاب، طائراتٌ تكاد تتحدّى الزمن. كلّ ذلك جميلٌ، ولكنّه لا يرتقي بنا روحيًّا. لا شيء من تقنياتنا المتألّقة يستطيع الارتقاء بالإنسان نحو قممٍ جديدةٍ، لأنّ الازدهار المادّيّ أمسى غايةً في ذاته. وفي غياب الهدف الأخلاقيّ يصغُر الإنسان، في حين تكبر أعماله.**

- **الصناعة إدارةٌ عملاقةٌ. آليّتها معقّدةٌ ومؤتمتةٌ، ولكنّها تدع الإنسان خارج الباب. فقد فقدنا معنى المشاركة، وتلاشى الشعور بأنّ للأفراد العاديّين تأثيرًا على القرارات الخطيرة، فعُزِل الإنسان وتضاءل. وعندما يفقد الفرد دوره وشعوره بالمسؤوليّة عن مجتمعه، تفرغ الديمقراطيّة من محتواها. وعندما تنحطّ الثقافة، وينتصر الابتذال، وعندما يحجم النظام عن توفير الأمان، ويخلق الخطر، حينئذٍ، يُضطرّ الفرد إلى النأي عن مجتمعٍ بلا روحٍ. هذا المسار يخلق شعورًا بالاغتراب، وهذا هو المرض الأشدّ خبثًا، والأوسع انتشارًا في المجتمعات المعاصرة.**

- **ليس عملًا أخلاقيًّا تشجيع الآخرين على أن يتحمّلوا بصبرٍ، ما لا يتحمّله المشجّع نفسه.**

- **لقد غدونا ننزع إلى قياس النجاح بمعيار كمّيّة راتبنا، وحجم سيّارتنا، لا بمقدار ما نؤدّيه من خدمةٍ، ولا بنوعيّة علاقتنا الإنسانيّة.**

- **لقد فقدت المبادئ الأخلاقيّة امتيازاتها، ففي نظر إنسان اليوم، الشرّ المطلق والخير المطلق يعتمدان على ما تفعله الأكثريّة. لقد أمسى الخير والشرّ خاضعَيْن للأذواق والألوان، ولعادات هذا المجتمع أو ذاك. لقد طبّقنا، في غفلةٍ من وعينا، نظريّة النسبيّة التي وصف بها آينشتَيْن الكون، على ميادين الآداب والأخلاق.**

- **علينا الإقرار بأنّ التقدّم الإنسانيّ لا يسير على عجلات الحتميّة. وليكن لنا الوقت، دائمًا، مناسبةً لعمل الخير.**

- **طالما كان في العالم فقرٌ، لن أكون غنيًّا حتّى لو ملكتُ مليار دولار. وطالما ظلّت الأمراض منتشرةً، وتعذّر على ملايين البشر العيش أكثر من ثلاثين سنةً، فلن أكون بصحّةٍ جيّدةٍ، حقًّا، حتّى إن أكّدت تقارير المختبرات سلامتي التامّة.**

ولن أكون، أبدًا، ما يجب أن أكون، طالما كنتَ، على غير ما يجب أن تكون. هذا هو عالمنا: فما من فردٍ، وما من أمّةٍ، يمكنهما ادّعاء الانفراد، فنحن، جميعنا، مرتبطون بعضنا ببعضٍ.

- **مُثُلُنا الثقافيّة هي مزيجٌ من أسود وأبيض. ومصائرنا مترابطةٌ فما من دربٍ أسود منفصلٍ يقود إلى السلطة والازدهار، ما لم تكن له جذورٌ بيضاء. ولا بدّ من التقاء اللونَيْن، وامتزاجهما في مكانٍ ما من الطريق. وسننتصر على مِحَنِنا، بيضًا وسودًا معًا. ما زلت مؤمنًا بذلك.**

- **إنسانٌ غير متأهّبٍ للموت من أجل الحقيقة، لا يستحقّ الحياة.**

- **ينبغي أن تكون لخيبتنا حدودٌ، وأن يبقى رجاؤنا بلا حدودٍ.**

- **لديّ جرأة الاعتقاد بأنّ جميع الشعوب، في كلّ مكانٍ، تستطيع توفير ثلاث وجبات طعامٍ لأجساد مواطنيها، وتوفير التعليم والتثقيف لأدمغتهم، والكرامة والمساواة والحرّيّة لأرواحهم. وأومن أنّ ما داسه بأرجلهم أناسٌ أنانيّون، يستطيع تصحيحه آخرون أكثر انفتاحًا.**

- **يستحيل إحلال السلام في العالم، بمعزلٍ عن الاحترام المتبادل.**

- **الأحلام المحطّمة هي دمغة حياتنا الأرضيّة.**

- **أشدّ أنواع السقوط نبلاً هو السقوط كضحيّة حركةٍ، هدفها أن تنتشل أمّةً من براثن الموت.**

- **الآلام غير المستحَقَّة هي آلامٌ فدائيّةٌ.**

- **إنّ إحدى أدهى خبراتنا البشريّة، أنّ ندرةً منّا، بل لا أحد منّا، يعيش الوقت الكافي لكي يشهد تحقّق أمانيه الكبرى. إنّ أحلام طفولتنا وكهولتنا سمفونيّاتٌ غير مكتملةٍ.**

- **لا ينبع السلام من غياب القوى السلبيّة، بل من توفّر القوى الإيجابيّة. فالسلام الحقيقيّ ليس مجرّد غياب التوتّر بل هو ثمرة العدل والإخاء.**

- **شهادة التاريخ والحياة تنبئنا، بفصاحةٍ، أنّ الخلافات لا تُحَلّ، إلاّ إذا أخذ الفريقان وأعطيا بثقةٍ تامّةٍ.**

- **إذا ضربتُك ورددتَ بالضرب، وإذا ضربتُك ثانيةً، ورددتَ بالضرب ثانيةً، فلن ينتهي تضاربنا. بل على أحدنا أن يتبصّر، فيكون هو الأقوى، لأنّه حطّم سلسلة الحقد والشرّ.**

- في مجتمعنا حرمانُ إنسانٍ من عملٍ ومن أجرٍ، هو اغتيالٌ نفسيٌّ، وهو، واقعيًّا، حرمانه من حقّ الوجود، والحياة والحرّيّة، ومن الحقّ بالسعادة، ومن أسس الحياة الاجتماعيّة.

هذه القضيّة تتّخذ بعدًا دوليًّا، وتتفاقم بقدر ما تتعمّق الهوّة بين الفقراء و"مجتمعات البذخ".

- ينبغي التحوّل، سريعًا، من مجتمعٍ ملتفتٍ صوب الأشياء، إلى مجتمعٍ ملتفتٍ صوب الناس. فعندما تكون الحواسب، والأرباح، وحقوق الملكيّة أجلّ شأنًا من البشر، يتعذّر قهر ثالوث العنصريّة والماديّة، والعسكرة.

- الماضي مفروشٌ بركام دمار الأنظمة الديكتاتوريّة. وكلّ مساحة دمارٍ لا تعكس، فقط، أخطاء الإنسان، بل تظهر، أيضًا، قدرته على تجاوزها.

- تحتوي الطبيعة البشريّة قدرةً مذهلةً على عمل الخير.

- في أنذلنا يكمن خيرٌ، وفي أفضلنا يكمن شرٌّ. عندما نعي ذلك ستتضاءل نزعتنا إلى كره أعدائنا.

- قد يكون أسوأ مجرمٍ إنسانًا عاقلًا، ولكنّه مفتقرٌ إلى الأخلاق. الذكاء لا يكفي. وغاية التربية المثاليّة هي تهذيب العقل والأخلاق. والتربية الكاملة لا تقتصر على التركيز، بل تسعى إلى ترسيخ قِيَمٍ يجب الالتزام بها.

العنصريّة

- **تكوينُ وعيٍ للذات لدى السود، وانتسابٍ إلى شعبٍ، لا يستلزم ازدراءَ الجنس الأبيض برمّته. فنحن لا نقاوم عرقًا بذاته، بل نقاوم سياسيّي هذا العرق ومنظّريه، الذين يستخدمون التفرقة العرقيّة، كي يؤيّدوا قمعهم.**

- **نظريّةٌ تدّعي هيمنة السود سيّئةٌ بقدر نظريّةٍ تدّعي هيمنة البيض.**

- **ليس التفاهم بين العروق المختلفة واقعًا ماثلًا، بل علينا خلقه. إنّ قدرة السود والبيض على العمل معًا من أجل التفاهم، لا تهبط من السماء، بل علينا إيجادها بتبادلاتٍ واتّصالاتٍ واقعيّةٍ.**

- **علينا استخدام الوقت استخدامًا خلّاقًا، وأن نعي أنّ كلّ يومٍ هو سانحةٌ للعمل. لقد حان أن نعِد بالديمقراطيّة وعدًا واقعيًّا، وأن نحوّل مرثاتنا الوطنيّة إلى نشيد إخاءٍ خلّاقٍ.**

حان أوان الترقّي بسياستنا الوطنيّة من حال رمال الظلم العرقيّ المتحرّكة إلى صخرة الكرامة البشريّة الصلبة.

- **منذ سنواتٍ ما انفككنا نسمع كلمة "اصبروا"، حتّى ملّها سود الولايات المتّحدة. إنّه سهلٌ قول "اصبروا" لِمَن لم يشعروا في أجسادهم سهام التفرقة. ولكن عندما تشهد جماعاتٍ حاقدةً تُتكّل بآبائك وأُمّهاتك، وتُغرق إخوتك وأخواتك بلا سببٍ، وعندما تشهد رجال أمنٍ شرسين يشتمون ويضربون أو يقتلون إخوتك وأخواتك السود، وعندما تشهد معظم العشرين مليون أخٍ أسود لك، يختنقون في قفص الفقر، وسط مجتمعٍ مزدهرٍ... وعندما تكظم، بلا هوادةٍ، شعورًا مرهقًا بأنّك لا شيء، عندئذٍ، تدرك لماذا فقدنا القدرة على الصبر.**

- **أظنّ أنّ النصر الأكبر الذي أحرزناه نتيجة كفاحنا كان نصرًا داخليًّا، ناجمًا عن تأثير هذا النصر على نفسيّة الإنسان الأسود. إنّ عَظَمة هذا الكفاح هي أنّها سلّحتنا بالكرامة والاحترام، وجعلتنا ننتصب. فلا أحد يستطيع الصعود على ظهر إنسانٍ واقفٍ.**

الحقوق المدنيّة

- **القولُ بأنّ الدمج العرقيّ هو حقٌّ أخلاقيٌّ شيءٌ، والالتزام النشيط بتنفيذ هذا القول شيءٌ آخر. الأوّل هو استيعابٌ ذهنيٌّ والثاني هو قناعةٌ حقيقيّةٌ. والمرحلة التي نجتازها تقتضي أفعالًا مطابقةً للأقوال. ولم يعد المطلوب هو إعلان الدمج، بل المطلوب هو تحقيقه.**

- **قد تُفلتُ الأخلاقيّات من سطوة القانون، ولكن بقدرة القانون تنظيم السلوك. لا يستطيع القانون إكراه ربّ عملٍ على توظيفي، ولكن بوسعه منعه من رفض توظيفي بسبب لون بشرتي.**

- **ثمّة أوقاتٌ تتعارض فيها شرائع البشر مع شريعة الكون الأخلاقيّة. وإنّي واثقٌ من انتهاجنا الدرب السويّ، عندما نعصى القوانين الظالمة، وأنّ الذين يعتزمون مقاومتها، وهم راضون بما سينجم عن مقاومتهم من عقابٍ، يساهمون في خلاص بلادنا.**

- **لن ينتصر الإنسان الأسود إذا ارتضى مقايضة مستقبل أبنائه بأمانه ورفاهه الآنيَّيْن.**

- **قليلون هم من يدركون أنّ السود في أميركا، فضلًا عن خضوعهم لمئتي سنةٍ من العبوديّة، قد حُرِموا من أجور عملهم الشاقّ طوال تلك الفترة. إنّ كلّ ذهب الدنيا غير كافٍ للتعويض عن الإهانات التي أُنزِلت بالسود في القرون الماضية، والتي تعجز كلّ ثروة هذه البلاد عن وفاء دينها.**

عدالةٌ وحرّيّةٌ

- **تعجز الكلمات عن وصف البهجة التي تنتاب من يجد نفسه وراء القضبان برفقة مئات الرفاق، من أجل قضيّةٍ آمنوا بعدالتها.**
- **القامعون لا يَهَبون، أبدًا، الحرّيّة تلقائيًّا، ما لم يطالب بها المقموعون.**
- **لقد كان ثمن الحرّيّة، دائمًا، غاليًا. والتاريخ حافلٌ بأمثلةٍ تثبت أنّ الحرّيّة لا تُكتَسب إلاّ بجمٍّ من التضحيات وبذل الذات.**
- **عندما يتآمر الأشرار، فعلى الصالحين أن يُنظّموا صفوفهم، وعندما يحرق الأشرار ويلقون القنابل، فعلى الصالحين أن يبنوا ويدعّموا، وعندما يجأر الأشرار بأقوال الكراهية، على الصالحين أن يمجّدوا المحبّة، وحيث يسعى الأشرار إلى ترسيخ وضعٍ قائمٍ على الظلم، فمن واجب الصالحين تفعيل وضعٍ عادلٍ حقيقيٍّ.**

- **عندما تدعنا سلطات البيض نتظاهر، تكذّب ادّعاءها الزائف بأنّ السود راضون بقَدَرهم. وعندما يُطلقون علينا النار فإنّهم يقرّون، أمام العالم أجمع، أنّهم وحوشٌ، ويفتقرون إلى الإنسانيّة.**

- **أمل العالم يثوي في الأقلّيّات الملتزمة. فروّاد الحرّيّة الإنسانيّة، في المجالات الأكاديميّة، والعلميّة، والدينيّة، كانوا، دائمًا أقلّيّةً. وإنّ أقلّيّةً بيضاء خلّاقةً، مهتمّةً بالحقوق المدنيّة، قادرةٌ على إفهام الأغلبيّة أنّه لم يعُدْ يسوغ التردّد والمماطلة في قضيّة الحقوق العرقيّة. فعلى أقلّيّةٍ ملتزمةٍ السعي بلا هوادة حتّى تقتنع الأكثريّة المتقاعسة، وبذلك تحوّل معضلة أميركا الكبرى إلى أروع سانحةٍ.**

- **ليس التقدّم الإنسانيّ تلقائيًّا، ولا هو حتميٌّ. فحتّى نظرةٌ سطحيّةٌ إلى التاريخ تظهر أنّ ما من تقدّمٍ اجتماعيٍّ تحقّق تلقائيًّا، بل إنّ كلّ خطوةٍ نحو هدف العدل تقتضي تضحيةً، وألمًا وصراعًا، وأن يُرهِق أشخاصٌ متفانون، ومفعمون هوًى ذواتهم في هذا السبيل. فبمعزلٍ عن جهدٍ مستمرٍّ، يتحالف الوقت مع القوى الرجعيّة الحمقاء، ومع قوى التدمير.**

ليس الأوان أوان تخاذلٍ ورضًى بالوضع الراهن، بل هو أوان عملٍ جادٍّ، حثيثٍ، ومثمرٍ.

- أملُنا الخلّاق في هذه البقعة من العالم التي ورثناها، يكمن في قدرتنا على ضخّ الأخلاق في حياتنا، على مدانا الشخصيّ، وعلى مدى العدل الاجتماعيّ. فبمعزلٍ عن نهضةٍ روحيّةٍ وأخلاقيّةٍ، سندمّر ذواتنا بذواتنا، باستخدام أدواتنا استخدامًا سيّئًا.

- ما هدير الاستياء المدوّي الذي نسمعه اليوم، إلاّ صدى عاصفة الجموع المحرومة المتصاعدة من أقبية القمع نحو تلال الحرّيّة. وإنّ الحشود المنتفضة جوقةٌ رائعةٌ تنشد للحرّيّة، هاتفةً: "لن ندع أحدًا يُكرِهنا على التوقّف".

مثل آفةٍ منتشرةٍ، تنطلق حركة الحرّيّة في العالم أجمع، انطلاقًا لم يشهد له التاريخ مثيلًا. جموعٌ غفيرةٌ وطّنت عزمها على وضع نهايةٍ لاستغلال عرقها وأرضها. لقد استيقظتْ واندفعتْ صوب غايتها اندفاع السونامي. وستسمعون دويّها في القرى والشوارع، والأرصفة والبيوت، في أوساط طلاّب المدارس، وفي الكنائس، وفي الاجتماعات السياسيّة.

جرأةٌ ومنعة نفسٍ

- **الجرأة تجابه الخوف، وتسيطر عليه. والجبن يُلجمه فيصبح له أسيرًا وعبدًا.**

- **الشجعان لا يفقدون، أبدًا، فرح الحياة، عندما تفقد حياتهم عوامل الفرح. والجبناء الرازحون تحت وطأة غموض الوجود يفقدون الرغبة في الحياة. علينا، إذن، ألاّ نكفّ عن بناء سدود شجاعةٍ في وجه أمواج الخوف.**

- **مأساة حكمتنا الكبرى لا تكمن في هدير المدعوّين أشرارًا، بل أيضًا، في صمت المدعوّين صالحين.**

- **تفاؤلي يُدهش كثيرين من الذين علموا كم مرّةً سُجِنتُ، وكم أيّامي ولياليّ حافلةٌ بالخيبات والحزن، وكم خصومي غضوبون وخطيرون. وبالتالي هم يستنتجون أنّه يجب أن أكون قاسيًا، كئيبًا، قانطًا، لأنّهم يجهلون أنّ النضال وتحدّي الصعاب هو تثبيتٌ للذات.**

- **نوعيّة الإنسان لا تتكشّف في أوقات الرفاه والسعة، بل في مواقفه حيال التحدّي والمعارضة. إنّ الإنسان الحقيقيّ يخاطر بموقفه الاجتماعيّ، وبشهرته، وحتّى بحياته من أجل خير الغيْر، ولا يخشى الانحدار إلى الوديان الخطِرة، وخوض الدروب الوعرة من أجل إنقاذِ أخٍ جريحٍ ومتألّمٍ، وإعادته إلى حياةٍ هانئةٍ، كريمةٍ.**
- **في الحياة فترات امتلاءٍ لا تكفي الكلمات لوصفها، ولا يمكن التعبير عنها إلاّ بلغة القلب التي لا تُسمَع.**
- **الصدق وسلامة الضمير لا يكفيان. وقد أثبت التاريخ أنّ هاتين الفضيلتَيْن النبيلتَيْن قد تتحوّلان إلى رذائل مأساويّةٍ. فلا شيءَ أخطر من الصدق الذي يشوبه جهلٌ، والضمير الذي تشوبه بلاهةٌ.**

واجب الكنيسة أن تحرّض البشر على الطيبة وسلامة النوايا، وتشجّع الفضائل التي تكسب قلب طفلٍ، وضميرًا دقيقًا؛ ولكن عليها، أيضًا، التذكير بأنّ الافتقار إلى الفهم والطيبة والضمير قد يتحوّل إلى قوّةٍ وحشيّةٍ تقود إلى فظاعاتٍ مخزيةٍ ومريعةٍ.

رسالتنا مزدوجةٌ: قهر الخطيئة، وقهر الجهل.

مَواعـِظ

لا تنسوا إخوتَكم

قرّروا ألاّ تكونوا، أبدًا، راضين عن آرائكم، وعن نهج حياتكم، وأنتم غافلون عن "إخوتكم الأصاغر"، وقد نكون نحن أصغرهم.

أنا أجهد في إفهام أبنائي ذلك، يومًا فيومًا، وكلّ صباحٍ، عندما يتسنّى لي، عندما نلتفّ حول المائدة من أجل الصلاة، فحينئذٍ، لا أستطيع الصلاة إلاّ بعد قولي:

"يا إلهي، ساعدنا، ونحن جالسون حول هذه المائدة، على أن ندرك أنّ ثمّة من هم أقلّ يُسرًا منّا، وساعدنا على ألاّ ننساهم حيثما نكون".

وإنّي أقول، دائمًا، لأبنائي: "سأبذل كلّ جهدي، وسأعمل كلّ ما أقدر عمله، لكي تحصّلوا أفضل تعليمٍ. ولكنّي أريد ألاّ يغيبَ عن بالكم أنّ هناك ملايين من أبناء الله الذين لم يتمكّنوا من تحصيل دراسةٍ وافيةٍ، فلا تتوهّموا أنّكم أرفع منهم شأنًا. فأنتم لن تكونوا، أبدًا، ما ينبغي أن تكونوا، قبل أن يكونوا، هم، ما ينبغي أن يكونوا، حقًّا".

يا أبتِ، اغفر لهم

حانت ساعة المحنة، ومُدّد يسوع، ابن الله البريء على صليبٍ، معانيًا نزاعًا وجيعًا. فهل، بعدُ، متّسعٌ للمحبّة والغفران؟ وما ستكون ردّة فعل يسوع؟ وماذا سيقول؟

الجواب على هذه التساؤلات يتفجّر في روعةٍ جليلةٍ. يسوع يرفع رأسه المكلّل بالأشواك، ويُطلق قولًا كونيّ المدى: "يا أبتِ، اِغفر لهم، لأنّهم لا يعرفون ما يفعلون". هذه هي أجمل ساعات يسوع، وهذا جوابه السماويّ على لقائه الأرضيّ مع المصير.

عظمة هذا الدعاء تتّضح بمقارنته مع الطبيعة. فالطبيعة لا تصفح، ولا يسعها الصفح... ونحن نعيش وفق فلسفةٍ تقتضي أن تكون الحياة انتقامًا، أو حفظًا لماء الوجه... نحن ننحني أمام هيكل الثأر...

ومن علوّ صليبه أعلن يسوع شريعةً أرفع سموًّا. وعلّم أنّ الفلسفة القديمة، القائمة على شريعة العين بالعين

ستُفضي إلى عمًى شاملٍ. ولم يسعَ إلى قهر الشرّ بالشرّ، بل قهر الشرّ بالخير. صُلِب حقدًا، فأجاب بالمحبّة. وما أروعَ هذا الردّ، وهذا الدرس!

الأجيال تولد وتزول... ومع ذلك قد يستمرّ البشر في عبادة إله الانتقام... بيد أنّ نداءً حادًّا يأتينا من أُمثولة الجلجلة السامية هذه: الطيبة وحدَها قادرةٌ على اجتثاث الشرّ. وحدَها المحبّة قادرةٌ على قهر الكراهية.

إنّهم لا يدركون ما يفعلون

دعاء يسوع على الصليب يلقّننا درسًا آخر، يعبّر عن وعي يسوع لعمى البشر عقليًّا وروحيًّا: "لا يدركون ما يفعلون"...

ليست الخطيئة وحدها هي التي علّقت يسوع على الصليب، بل عمى البصيرة، أيضًا... فالرعاع المستهزئون الذين كانوا يحومون حول الجلجلة كانوا بشرًا، عماهم يفوق خبثَهم. ولم يكونوا يدركون ما يفعلون.

ويا للمأساة!

إنّ طيف الفناء الذرّيّ يهدّد العالم، لأنّ كثيرين لا يدركون ما يفعلون. وإنّ استمرار العبوديّة في أميركا لم يكن بسبب الخبث البشريّ فقط، بل بسبب عمى البصيرة. فقد اقتنع قومٌ أنّ لاستمرار نظامٍ اقتصاديٍّ مربحٍ شرعيّةً أخلاقيّةً، فاختلقوا وطوّروا نظريّات التفوّق العرقيّ، واستخدموا الدين والكتاب المقدّس، والعلم لإثبات دونيّة

الزنوج البيولوجيّة، خلطوا ببراعةٍ معطيات العلم والدين والفلسفة لإثبات تفوّق العرق الأبيض.

لقد رفض أنصار التمييز العرقيّ الاعتراف بنتائج العلم القائلة إنّ هناك أربع فصائل دمويّةٍ، وإنّ هذه الفصائل عينها موجودةٌ لدى كلّ جماعةٍ عرقيّةٍ.

لقد آمنوا، إيمانًا أعمى، بالقيمة الأبديّة لشرٍّ يُدعى التمييز العرقيّ. ويا للمأساة! ملايين السود صلَبَهم عمى الضمائر.

ونحن، مع يسوع، يجب أن نحدّق إلى قامعينا، ونقول بمحبّةٍ:

"اللهمَّ اغفر لهم، لأنّهم لا يعرفون ما يفعلون".

السامريّ العطوف

ما هي فضيلة السامريّ الرحيم التي تجعل منه نموذجًا خالدًا، ومصدر إلهامٍ للعلاقة الإنسانيّة الجيّدة؟ يمكن إيجاز فضيلته بالإيثار ونكران الذات. فقد كان يمتلك إيثارًا عالميًّا، وكان يدرك، بحدّةٍ، ما يتخطّى الجنس، والدين، والوطنيّة. إنّ إحدى كبرى مآسي مسيرة الإنسان الطويلة على دروب التاريخ، كانت الحدود التي تفرضها العشيرة، والعِرق، والطبقة والأُمّة...

مخاطر هذه النظرة الحسيرة المرتكزة على جماعةٍ معيّنةٍ، تكمن في إغفالها الاهتمام بما يحدث لأيّ كائنٍ خارج هذه الجماعة.

مأساة الإقليميّة الضيّقة هي رؤية الآخرين، وكأنّهم كياناتٌ وأشياء، ونادرًا ما ترى فيهم بشرًا. فهي ترى فيهم اليهوديّ أو الأُمميّ، الكاثوليكيّ أو البروتستانتيّ، الصينيّ أو الأميركيّ، الأسود أو الأبيض، ولا ترى فيهم إخوةً بشرًا، مخلوقين مثلنا، وفق الصورة الإلهيّة عينها.

الكاهن واللاويّ، في مَثَل الإنجيل، لم يرَيَا (في المعتدى عليه الملقى أرضًا مضرّجًا بالدم) سوى جسدٍ مضرّجٍ بالدم، ولم يروا فيه كائنًا بشريًّا يحاكيهم. أمّا السامريّ العطوف فيعلّمنا وجوب تحرير عيوننا من عتمة عدسات الإقليميّة، وأن نرى في البشر بشرًا.

إيثار السامريّ العطوف جعله يتحدّى الخطر، ويغامر بحياته من أجل إنقاذ إنسانٍ أخٍ. ربّما ظنّ الكاهن واللاويّ أنّ الأفضل هو معالجة الظلم في مصدره، عوضًا عن الانحناء على غوث ضحيّةٍ للظلم. وربّما كانت تلك دوافع عدم توقّفهما للعناية بالجريح. وهناك سببٌ آخر، غالبًا، ما نغفله، هو الخوف. فطريق أريحا كان طريقًا خطيرًا.

أتخيّل أنّ كلًّا من الكاهن واللاويّ قد بدأ بالتساؤل: "ما الذي سيحلّ بي إذا توقّفتُ من أجل غوث هذا الجريح؟". أمّا السامريّ فقد عكس السؤال: "ما الذي سيحلّ بهذا الإنسان إن لم أتوقّف وأُغِثْه؟". فقد كان يحدوه إيثارٌ مُخاطرٌ.

كثيرًا ما نتساءل: "ما الذي سيحلّ بوظيفتي وبمركزي الاجتماعيّ، وبنفوذي، إذا اتّخذتُ موقفًا من هذه القضيّة؟ هل يُنسَف بيتي؟ هل تُهدّد حياتي؟ هل يكون السجن مصيري؟"... أمّا الإنسان العطوف فيعكس السؤال.

فأبراهام لينكولن لم يتساءل: "ما الذي سيحدث لي إذا أعلنت تحرير العبيد؟". بل تساءل: "ما الذي سيحلّ بملايين الزنوج إن لم أحرّرهم من العبوديّة؟".

والإنسان الأسود الملتزم الذي يمارس مهنةً لا يتساءل: "ما الذي سيحدث لمركزي الذي يوفّر لي الأمان، ولطبقتي الاجتماعيّة ولسلامتي الشخصيّة، إذا شاركتُ في الحركة المطالبة بإبطال التمييز العرقيّ؟". بل يتساءل: "ما مصير العدل، وجموع السود الذين لم يشعروا، يومًا، بدفء أمانٍ اقتصاديٍّ، إن لم أساهم مساهمةً فعّالةً وجريئةً بهذه الحركة؟".

قيمة الإنسان لا تُقاس بالمكان الذي يحتلّه في زمن الرفاه والبحبوحة، بل بمكانته في زمن المحنة والمصاعب.

القريب الحقّ هو الذي يخاطر بمركزه، وبسمعته، وحتّى بحياته، من أجل خير الآخرين.

الإيثار الصادق يتخطّى الرأفة، ويتجلّى من خلال التعاطف. فقد لا تتعدّى الرأفة اهتمامًا سطحيًّا مستعدًّا لدفع مالٍ، أمّا التعاطف، فهو شعورٌ أخويٌّ نحو إنسانٍ يُعاني، ومواساةٌ لمعاناته وهواجسه، وتخفيفٌ لعبئه.

قد يساعد المال أبناء الله الجرحى المرميّين على دروب الحياة، ولكن إن لم توزّعه أيادٍ يحدوها العطف، فهو لا يُغني لا العاطي ولا المتلقّي.

السامريّ العطوف تخطّى واجب الغوث، فهو بعد أن بلسم جراح الضحيّة كان بوسعه إرساله إلى مشفى، ومتابعة سيره مطمئنًّا، مرتاح الضمير. ولكنّه لم يكتفِ بغوثه، بل تنازل له عن دابّته التي أصعده على متنها، وسار، هو، إلى جانبه إلى فندقٍ كي يواصل السهر عليه. ولمّا اضطرّ إلى الغياب دفع إلى صاحب الفندق مالًا يمكّنه من مواصلة العناية به. وتعهّد بدفع كلّ النفقات التي قد تترتّب على ذلك.

اليوم، أكثر من أيّ يومٍ مضى، يواجه بشرٌ من جميع الأجناس والأمم قضيّة حسن الجوار. ولن نستطيع، طويلًا، العيش منفصلين روحيًّا، في عالمٍ يلتحم جغرافيًّا.

وأنا لا أستطيع تجاهل الجريح المرميّ على الطريق، لأنّه جزءٌ منّي، وأنا جزءٌ منه، ولأنّ ألمه يُضعفني، وخلاصه يكبّرني.

في نشداننا محبّةً واقعيّةً للقريب، لنا نبراس هدايةٍ في مثال السامريّ العطوف المحفِّز، وفي حياة يسوع فائقة الشهامة. فقد شمل إيثاره البشرَ أجمعين، حتّى العشّارين والخطأة الذين عدّهم إخوةً.

وكان إيثار يسوع مخاطِرًا، فقد اجتاز، طوعًا، دروبًا محفوفةً بالمخاطر من أجل قضيّةٍ رآها عادلةً. وكان إيثاره مفرطًا. إذ إنّه اختار الموت على الجلجلة.

والتاريخ لا يقدّم لنا دليلًا أروع من الخضوع لما ليس مفروضًا.

من ذكرياته

"سيُعنى الله بك"

إحدى أكثر الملتزمات بمقاطعة الحافلات في مونتغومري، كانت عجوزٌ سوداء، ندعوها، تودُّدًا، "ماما پولارد". وهي، مع كونها مدقعة الفقر، وأُمّيّةً، كانت حادّة الذكاء، ومدركةً معنى حركة المقاطعة، إدراكًا رائعًا. وإثر أسابيعَ من ذرعها الطرقات، سيرًا على أقدامها، ذهابًا وعودةً، سُئِلت هل هي تعبت، فأجابت بلغةٍ تفتقر إلى الدقّة اللغويّة: أقدامي يوجعني، ولكن روحي مرتاحٌ".

وذات مساء إثنينٍ، إثر أُسبوعٍ مرهقٍ، كنتُ قد تعرّضتُ فيه للسجن، ولسيلٍ من التهديدات الهاتفيّة، تحدّثتُ في لقاءٍ، عقب القدّاس المسائيّ، وجهدتُ في إظهار انطباع قوّةٍ وشجاعةٍ، في حين كنتُ، داخليًّا، منهارًا، مرتعدًا. وفي نهاية اللقاء جاءت "ماما پولارد" إلى مخرج الكنيسة، وقالت لي: "يا بنيَّ، تعالَ"، فاقتربت منها وأخذتها بين

ذراعيّ، تعبيرًا عن مودّتي لها. فقالت: "إنّك تعاني وضعًا مزعجًا، وما قلتَه، هذا المساء، ليس قويًّا" (مقنعًا). فجهدتُ في إخفاء مخاوفي، وأجبتها: "كلاّ، يا مدام پولارد، فكلّ شيءٍ على أحسن حالٍ، وأنا بخيرٍ". ولكنّها كانت دقيقة الملاحظة، فردّت: "لا تتحامق معي، إنّي أعرف أنّ هناك أمرًا أعرج، فربّما نحن خالفنا تعليماتك، أو إنّ البيض يضايقونك؟". ولم تُتِح لي فرصة الإجابة، بل حدّقت إلى عينيّ، وقالت: "لن أقول لك إنّنا جميعنا معك". وحينئذٍ، اتّسع محيّاها، وقالت، بثقةٍ هادئةٍ: "وحتّى إن لم نكن جميعنا معك، فالله سيُعنى بك".

فارتعش كلّ كياني لدى سماعي هذه الكلمات المعزّية، وانتعشت فيّ طاقةٌ جديدةٌ.

ومنذ تلك الليلة من عام ١٩٥٦، قلّما عهدتُ أيّامًا هادئةً، حقًّا... ولكن، مع كرّ السنين، طالما عادت إلى ذاكرتي كلمات "ماما پولارد"، وزوّدتْ نفسي المضطربة بالنور والسلام والهداية: "سيُعنى الله بك".

في الجيل الماضي، غالبًا، ما دوّن أشخاصٌ أتقياء على جدران بيوتهم هذا الشعار الذي يجب أن نحفره في قلوبنا:

"قرع الخوف قلوبنا، فأجابه الإيمان:

"لا أحد هنا".

آلامٌ فدائيّةٌ

من جرّاء اشتراكي في نضال تحرير شعبي، لم أعهد، خلال السنوات الأخيرة الماضية، سوى القليل من الأيّام الهادئة. فقد سُجِنتُ اثنتي عشرة مرّةً. وفُجِّر منزلي مرّتَيْن، ونادرًا ما مرّ يومٌ لم أتلقَّ فيه، أو لم تتلقَّ أُسرتي تهديداتٍ بالموت. كنتُ، حقًّا، ضحيّة العاصفة والاضطهاد.

ولا بدّ لي من الاعتراف بأنّه بدا لي، أحيانًا، أنّني لن أقوى، بعدُ، على احتمال هذا العبء، وأنّه خَطَرَ لي الانسحاب إلى حياةٍ أوفر هدوءًا، وأمانًا. ولكن، كلّما ساورتني هذه التجربة أتاني شيءٌ دعم عزيمتي وقوّاها. والآن بتّ أعلم أنّ عبء الربّ يخفّ، عندما نضع على عنقنا نيرًا.

اعترفتُ بضرورة الألم، فحاولتُ أن أجعل منه فضيلةً. على الأقلّ، من أجل إنقاذ نفسي من المرارة، وحاولتُ أن أَعُدّ مِحَني الشخصيّة فرصةً لتحويل ذاتي، وشفاء الناس المتورّطين في الأوضاع المأساويّة السائدة الآن. لقد

أقنعتني أحداث السنوات الأخيرة الفائتة، أنّ الألم غير المستَحَقّ هو فدائيٌّ.

ثمّة من يرون في الصليب حجر عثرةٍ، وآخرون يرون فيه جنونًا، ولكنّي، أكثر من أيّ يومٍ مضى، أيقنتُ أنّ الصليب هو قوّة الله من أجل الخلاص العامّ والفرديّ.

وعلى غرار الرسول بولس أستطيع أن أقول بتواضعٍ واعتزازٍ:

"إنّي أحمل في جسدي سمات الربّ يسوع".

من ذكريات الفصل العرقيّ

عندما كنت أبحث عن مسكنٍ كنت أقصد الأماكن التي أعلنت عن وجود غرفٍ خاويةٍ للإيجار، ولكن بمجرّد ما يتبيّن مالكو الغرف سواد بشرتي كانوا يسارعون إلى التأكيد بأنّ الغرف أُجِّرت كلّها.

مقتطفاتٌ من خطابه الشهير

إنّي أحلم

إنّي أحلم بيومٍ، سينهض فيه البشر مدركين أنّهم وُجِدوا لكي يعيشوا معًا، إخوةً.

وحلمتُ، أيضًا، هذا الصباح، أنّ كلّ إنسانٍ أسود، في بلادنا، وكلّ إنسانٍ ملوَّنٍ في العالم أجمع، سيُقدَّر على أساس قيمته الذاتيّة، لا على أساس لون جلدته، وأن يحترم جميع البشر كرامة الإنسان...

أحلم بيومٍ يسيل فيه العدل كالماء، وتسيل الاستقامة مثل نهرٍ هادرٍ...

وأحلم بيومٍ تتوقّف فيه الحروب، ويحوّل فيه البشر سيوفهم إلى محاريث، وحرابهم إلى رفوشٍ، وتمتنع الأُمم عن التقاتل، وتعزف، نهائيًّا، عن الحروب.

وأحلم بيومٍ، يجلس فيه الأسد والحمل، جنبًا إلى جنبٍ،

وتجلس فيه الشعوب في فيء دواليها، وتحت أشجار التين، ويتحرّروا جميعهم من الخوف.

وأحلم بأن يمكّننا الإيمان، يومًا، من إقصاء دواعي اليأس، ومن بثّ النور في عتمات التشاؤم؛ ومن تسريع سيادة السلام على الأرض، والنوايا الطيّبة بين البشر.

سيكون ذلك اليوم رائعًا، وستُنشد نجوم الصبح معًا، ويطلق أبناء الله هتافات الفرح.

عندما سنُتيح لصوت الحرّيّة أن يدوّي في كلّ قريةٍ وكلّ محلّةٍ، وكلّ مدينةٍ وولايةٍ، وسنسرّع حلول اليوم حيث جميع أبناء الله، سودًا وبيضًا، يهودًا وأُممًا، كاثوليكيّين وبروتستانتيّين، يستطيعون أن يمسك بعضهم أيادي بعضٍ، وينشدوا، نشيد الزنوج الأميركيّين: "أخيرًا نحن أحرارٌ، أخيرًا أحرارٌ، شكرًا يا الله كلّيّ القدرة. فنحن، أخيرًا، أحرارٌ".

الفهرس

أقــوالٌ ٥
إيمانٌ ودينٌ ٥
المحبّة ١٣
الصفح والسلام ١٥
اللاعنف ٢٠
المجتمع ٢٧
عنصريّةٌ ٣٤
الحقوق المدنيــّة ٣٦
عدالةٌ وحرّيـــّةٌ ٣٨
جرأةٌ ومنعة نفسٍ ٤١

مَواعِـظ ٤٣
لا تنسوا إخوتَكم ٤٣
يا أبتِ، اغفر لهم ٤٤
إنّهم لا يدركون ما يفعلون ٤٦
السامريّ العطوف ٤٨

من ذكرياته ٥٣
"سيُعنى الله بك" ٥٣
آلامٌ فدائيّةٌ ٥٦
من ذكريات الفصل العرقيّ ٥٨

مقتطفاتٌ من خطابه الشهير ٥٩
إنّي أحلم ٥٩

الفهرس ٦١